

مراسلي القاسي



رحمة خنطار

مراسي المآسي

مجموعة قصصية

رحمة خطار



دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني

البريد الإلكتروني

kesasandhekayatpub@gmail.com

موقع الدار

<https://kesasandhekayatpub.blogspot.com/>

للتواصل عبر ماسنجر صفحة الدار

m.me/kesasandhekayat

فريق عمل الدار

أ. رمضان سلمي برقي

أ. حسن كشاف

أ. هشام وهبي

العنوان: مراسي المآسي

النوع الأدبي: مجموعة قصصية

المؤلف: رحمة خطار

المُدقق اللغوي: الكاتب نفسه

اللغة: فصحي

التنسيق الداخلي والإخراج: فريق عمل الدار

تصميم الغلاف: فريق عمل الدار

سنة النشر: 2019

الحالة: حصرياً

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 24

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2019

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكتاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكتاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

إهداء..

أهدي كتابي هذا إلى الألم؛ هنا حيث يرسو بين أحزان هذه القصص. ولأن الألم
يحرك القلم... قد نكتبه دون أن نفصح أو نتكلم!

رحمة خطار

فهرست القصص

٧	وكيل الشيطان.....
١٣	إحسان.....
١٦	نيكروفوبيا.....
٢٠	شروود.....
٢٥	عقم.....
٣٠	عودي يا أمي.....
٣٣	بعد رحيلي.....
٣٨	نبذة عن المؤلفة.....

وكيل الشيطان

يكاد الألم يفتق قلبي و أنا أنظر الى زوجتي (أناندا) و هي على هذه الحال . كانت مسجاة على السرير و الحمى تستعر في بدنها الضعيف الذي المنهك من مرض الملاريا الذي التقطته أثناء تواجدها بجنوب افريقيا .

لم تمض سنة على زواجنا بعد ، و كنت قد وعدتها قبل زفافنا برحلة حول العالم . اخترنا أن نبدأ جولتنا من الدول الافريقية و يا ليتنا ما فعلنا . لأن الفرصة لن تتسنى لنا لإتمام جولاتنا فمرضها لن يمهلها طويلا حسب ما أكدّه لي الأطباء .

أمسكت بيدها التي ترتجف حرارة و قلت لها و أنا أداعب وجنتها براحة يدي :

"عزيزتي ، نحن على أبواب فصل الشتاء و لاشك في أن الجو في باريس رائع ، ما رأيك في أن نحجز رحلة الى هناك في الأسبوع القادم . أخيرا سيتسنى لنا زيارة باريس عاصمة الحب "

ابتسمت و زفرت بألم قائلة :

"اه جوناثان .. أنت فعلا هدية من الرب حسب معنى اسمك " . أمسكت بيده بين كفيها و واصلت كلامها بنبرة حزن:

"أفضل أن أموت هنا في ساو باولو ، إنها عاصمة الحب بالنسبة لي ، بما أننا اجمعتنا هنا لأول مرة " . أردف جوناثان بقلق : "لا يا أناندا ، ستواصلين علاجك بفرنسا ، فقد قيل لي بأنه هناك أطباء أكثر خبرة .

ردت بيأس : "وان يكن ، مرضي قاتل يا جوناثان و ليس لنا أن نتدخل في شؤون الرب.
 ان لم يقدر لي أن أعيش طويلا ، سأعيش هنا بسلام ما تبقى لي من العمر"
 مرّت الأيام و اشتدّت علّة أناندا ، كنت قد قررت تسفيرها إلى فرنسا . بعد أن سافرنا إليها
 أكّد لي الأطباء بأن حالتها تزداد سوءا ، و أن المرض لن يمهلها طويلا .
 بعد أن أغلقت السّبل في وجه جوناثان قصد مكانا لم يذهب اليه منذ مدّة طويلة
 ، ضغط على جمجمته بين يديه و ذرف دمعة حارقة انسدلت على وجنته .
 ستموت أناندا ..كّرر هذه العبارة بصوت خفيض ، بدا كما لو أنّه كان يهذي .سرت
 قشعريرة في جسده و شعر ببرودة تتسرّب الى ظهره الذي ابتل بعرق بارد.
 شيء غريب يحدث ، سمع هسيس حركة خفيفة تشبه حركة حفيف الأوراق في يوم
 خريفي هادئ ،غزت أنفه رائحة دخان ،غمغم قائلا : يبدو بأن الغابة تحترق ..
 قاطعه صوت أجش : " لا، بل أعصابك تحترق "

أدار جوناثان رأسه ببطء ليبحث ببصره عن مصدر الصوت فقابله وجه رجل دميم
 الخلقه ، يحمل بيده كتابا ضخما و عتيقا .

ارتعدت فرائص جوناثان و قطّب جبينه قائلا بصوت خائف مشيرا بإصبعه للرجل :
 "من أنت ؟"

أجابه الرجل بنصف ابتسامة ساخرة و هو يتقدمه نحوه بخطوات متثاقلة :

"وكيل الشيطان ، جئت من أجل مساعدتك ، لقد سمعت نداء روحك ."

حرّك جوناثان رأسه نفيا : " أنت مخطئ في مقصدك ، أنا لم أستدعك اطلاقا "

أجابه بنظرة واثقة : "روحك فعلت ، نداء قلبك ، من أجل أن تعيش أناندا " .

شهق جوناثان متفاجئاً : " كيف عرفت ذلك "

رفع الرجل كفه النحيله و لوح بإبهامه الذي انبثق منه ظفر طويل :

" ألم أقل لك بأنني وكيل الشيطان ؟ " واصل حديثه و هو يختال في مشيته أمام جوناثان

قائلاً :

" الاطباء في الغالب سيقدمون لها علاجاً كيميائياً ، أمّا أنا فما سأمنحه لها هو علاج خارق

للطبيعة "

سأله جوناثان بنبرة أمل : " إذا كان هذا صحيحاً ، فهل يمكنك مساعدتي ؟ "

أجابه الرجل مؤكداً : " بالطبع ، أنا هنا الآن من أجل هذا الأمر تحديداً ، لكن كل شيء

بمقابل كما تعلم ، و هناك شرط سأقترحه عليك ، ان رضيت كان لك ما أردت "

لمعت عينا جوناثان و قال بحماس و ثقة :

" مستعد لفعل أي شيء من أجل حياة أناندا .. "

ابتسم الرجل ابتسامة النصر ، و اقترب منه بخطوات متثاقلة اخترقت سكون الجو من

حولهما مخاطباً إياه : " إنّه شرط واحد لا غير ، و سأضمن لك الدواء الذي يعيد لأناندا

عافيتها . صمت برهة و اضاف قائلاً : " امنحني روحك .. "

بدا على جوناثان عدم الفهم و تمت بصوت خافت : كيف ذلك ؟

أجابه الرجل : " سأوضح لك المطلوب ، سيتوجب عليك أن توقع عقداً تضمن لي فيه

روحك مقابل الدواء ، أي أنّها ستعتبر ملكاً لي ابتداءً من الزمن الذي نحرّر فيه العقد "

وضع جوناثان يده على رقبته و مرّرها على صدره : "أنت تقصد أنّي سأموت؟"

هزّ الرجل رأسه نفيا و قال : " ستنذر حياتك لخدمتنا لتصبح أحد السحرة التابعين

لسيدنا

ردّ جوناثان متسائلا : من سيدكم ؟

ابتسم الشيطان ابتسامة كريهة انفرجت عن أسنانه الصفراء : "الشيطان الأكبر

"لوسيفر" ، هذه فرصتك .سأمنحك دواءً لزوجتك ، كما أنك ستصبح سحرا قويا "

كانت الحيرة قد سكنت قلب جوناثان في تلك اللحظة تحديدا ، فهو الآن بين نارين ، إما

أن يرمي بنفسه في بؤرة الشر ليصبح من أتباع الشيطان و تشفى زوجته بالمقابل ، أو

يرفض و ينسحب ليتحمل مرارة الفقد و لوعة الفراق بعد مدة قصيرة . استحضر صورة

أناندا و تذكرّ الأيام السعيدة التي أمضيها معا ، لم يستطع أن يتقبل فكرة رحيلها و لم

يهر على زواجهما سنة بعد .استجمع أنفاسه و أغمض عينيه و زفر ثم خاطب الرجل

قائلا : "أنا موافق ، لنوِّع العقد ."

اتجه جوناثان برفقة الرجل الى مكان في الغابة يسميه أتباع الشيطان ب "زمرة السحرة"

، و فيه يقوم الشخص بطقوس خاصة ، دار جوناثان حول النّار عدّة مرّات مغمض

العينين و نذر العهود أثناء ذلك مطبقا الخطوات التي أرشده وكيل الشيطان إليها ، بعد

أن أنهى مهمته فتح عينيه فشعر أنه شخص جديد و بداخله قوة لا يعلم سرّها إلا من

امتلكها ،إنها قوى الشرّ الكامنة .

بعد أن أنهى مهمته قدّم له الوكيل الدواء الذي كان في حاجته ، قارورة زجاجية خضراء

بحجم حبة بيض تلقفها بين يديه بسعادة كطفل يحمل مكافأته، خاطبه الوكيل قائلا :"

" هنيئاً لك أولاً ، و أهلاً بك بيننا ثانياً .اطلب من زوجتك أن تشرب ما في القارورة دفعة واحدة و ستسترد عافيتها على مرأى منك ."

هزّ جوناثان رأسه موافقاً و شاكراً في الوقت ذاته و قبل أن يذهب استوقفه الوكيل قائلاً :
"لا تنس ، سنوكل إليك مهاماً في الايام القادمة ، و أرجوا أن تكون على استعداد لها "

و عادت البهجة إلى منزل جوناثان تطرق ابواب قلبه و غرّدت في شرفات أيامه بأن تحققت أقصى أحلامه ، و هي شفاء أناندا التي استغرب الجميع من تعافيتها بعد أن فقدوا الأمل في نجاتها ، الكلّ سعيد باستثناء أناندا ، ذلك لأن جوناثان لم يعد ذلك الرجل الطيب المحب الذي أحبته يوماً ، فهو لم يكن يعنفها لأتفه الأسباب مثلما يفعل الآن ، كما أنه أصبح غريب الأطوار .يمنعها من دخول قبو المنزل و يكرر تحذيراته بنبرة تهديد أثارت فضولها لمعرفة ما يخفيه عنها .

كان وكيل الشيطان قد منح لجوناثان كتاباً يتضمّن العقد الذي وقّعه مع جماعتهم ، و فيه يتمّ تدوين كل المهمات التي يقوم بها لصالح الشيطان . حدّره من أن يطلع عليه أحد غيره لأن ذلك يعني دماره.

سأل جوناثان الوكيل يوم تسلّم منه الكتاب قائلاً :

" ما الذي سيحصل ان وقع هذا الكتاب بيد غيري ؟"

أجابه الوكيل بنبرة جمّدت الدم في عروقه : "ستحلّ عليك العنة الأبدية ، ستسمع أبواق الشيطان و سيعلن الموت المحقق ."

ازدرد جوناثان ريقه بخوف و لفّ الكتاب في خرقة بيضاء مردداً : " سأخبئه في مكان لا يدخله أي بشر ."

ذات ليلة ،عزمت أناذدا على دخول القبو الذي حذرها جوناثان من دخوله ، اختارت التوقيت الذي يكون فيه جوناثان مشغولا بعمله خارج المنزل لتذهب إلى المكان المحظور .

شيء ما وخزها في قلبها و هي تقترب ببطء من باب القبو ، شدت بقبضتها على صدرها و شعور انعدام الأمان يغمرها ، لكن فضولها كان أقوى .

فتحت باب القبو فأحدث صريرا ،تقدمت بخطاها المتثاقلة إلى طاولة صغيرة في الركن لتتحقق من وجود طاولة لم تكن هناك من قبل ، ضيقت عينيها و اقتربت منها فلمحت كتابا ضخما عتيقا ، تساءلت في نفسها عن ما هيته و اذا كان هو السر الذي يخبئه عنها جوناثان ،امتدت يدها لتفتح الكتاب فأطلقت صرخة تصم الآذان قبل أن تقع أرضا و الدماء تنبثق من فمها و عينيها و أنفها .

إحسان

ما حدث معها كان أمرا مشينا و سيئا للغاية ، لكن بالنسبة لي وجدته مريحا جدا ، كأني
عثرت على أريكة وثيرة بعد يوم مضمّن .

لقد شفي غليلي و شعرت كأني شربت زجاجة من الماء البارد دفعة واحدة ، بعد ظمأ
تسبب فيه يوم قانظ .

تصاعدت أبخرة دخان الحريق من الطابق المجاور لعمارتنا حين كنا نتناول افطارنا
بهدوء في مطلع صباح هادئ ، و قبل ذلك ببضع دقائق مزق انفجار مدوي مخيم
الصمت الذي كنا فيه .تعالى صوت شقيقي الاصغر منذرا:

"بيت جارتنا أم احسان يحترق"

سرت غبطة في داخلي ، حسنا لا يمكن القول بأني غير انساني أو بلا قلب لأنني سعيد بما
حدث لإحسان .لكن لدي أسبابي الخاصة التي جعلتني لا أحزن بسبب ما أصابها ، أو أن
أشفق عليها حتى . انتشرت الأخبار كالنيران التي كانت تستعر منذ قليل و سمعت أن
اللهب قد أتى على بشرتها البيضاء المشرقة كشمس الصباح . لقد غرب جمالك الذي
كنت تختالين به و أنت تتكبرين عليّ يا احسان .

لو كنت لي ، لو وافقت يومها حين أتيتك بالدبلة و أنا أبتسم ببلاهة كالمخبول ظنا مني
أنني سأطوق أصعبك لكنت الآن أرثي حالك و أنتحب لأجلك .أما و قد أطلقت قهقهة
سخرية يومها و أخذت الخاتم الذي اشتريته من تجميع منحتي الجامعية ، و قدمته لك

على صفحة قلبي لتخطي عليها قصة حبنا . لكنك رميته أرضا و دست عليه كأنه صرصار .
فدست بذلك على كرامتي و قلت : "أظن أن ثمنه يعادل البقشيش الذي يقدمه معاذ
للخدم."

معاذ شاب غرّ ثري تقدم لخطبة احسان اليتيمة التي وقفت إلى جانبها حين مرضت
أمها ، رغم أنني لم أكن أملك مصدرا للرزق ، إلا أنني عملت كحمال للبضاعة لمدة سنة من
أجل أن أشتري الأدوية لأمها التي سرّت بي ، و كانت تدعو لابنتها في حضوري بزوج
صالح مثلي ، فأنظر لإحسان فتنزل عينيها خجلا . و لفرط حماقتي ظننتها تبادلي الود
نفسه ، أو ربما أكثر مما أحببتها .

كان موقفها الراض صدمة لم أتوقعها ، وكدمة لم أتعافى منها إلا بعد لأي و عناء
طويل .

أقيم حفل خطوبتها مع معاذ بعد أسبوع من طلبي ليدها ، أمها كانت تعلم بنواياي و
مشاعري اتجاه ابنتها ، رغم ذلك لم تعارض و وافقت فوراً حين تقدم معاذ فكان جزاء
إحسان "الإساءة" .

بعد مضي أسابيع من حادثة الحريق ، جمعني الصدفة ب"احسان" التي لقت
الضمادات رأسها و ذراعها المشوهين . لكم تغيرت سحنتها .
أنظر لها بتشفٍ دفين .

كانت نظراتهما خجلة مغلّفة بالشّعور بالذنب ، ألقيت عليهما التحية على مضض و قلت
لإحسان بوجه يخلو من أي تعبير :
"حمدا لله على سلامتك" .

أخبرتني أمها بأسى بأنه في عزّ الهمّ الذي هم فيه ، قام معاذ بالتخلي عن ابنتها و أظهر لها أثناء حديثه عندما زارها في المشفى رغبته في فسخ الخطوبة .

يا لها من وقاحة ، ترى ما الذي تريد أن توضحه لي بقولها هذا ؟

لاحظت في شفتي العبارة التالية : "لن أمد يدي الى القلب الذي طلبته يوما و قد قُدم لي بعد أن رماه غيري "

كانت هذه العبارة تدغدغ حلقي كرصاصة جهنمية ترغب بالانطلاق من مسدّسها لكنني ابتلعتها .

قلت بابتسامة وديعة بدلا منها "العوض على الله " ، ثم واصلت طريقي تاركا إياهما

غير متحسر و لا متأثر .

نيكروفوبيا

فتحت عيناى صباحا ليصطدم نظري بالسقف الأبيض لغرفتي ، زفرت مرتاحا و
أغمضتهما مجددا و أنا أحمد الله أن السقف لا يزال ناصعا ، و لأنّ ما قابلني الآن كان نور
الكون لا عتمة القبر .

وضعت راحة يدي على أنف زوجتي منال التي كانت نائمة لأتحقق من أنها لا تزال
تتنفس ، و راقبت اهتزاز جسدها أثناء تنفسها فتنفست الصعداء .

كذلك قمت من فراشي إلى مهد ابني وسيم ذا الثلاثة أشهر لأفعل نفس الشيء . مسحت
على وجنته الناعمة أتحسس دفئها و أنا أبتسم .

(ها نحن ننعّم بالحياة ليوم آخر).

جهّزت نفسي لأذهب الى العمل و قبل خروجي من بيتي مررت بالكراج حيث كانت
سيارتي التي لم أركبها منذ عشرة أشهر مركونة هناك .

منذ ذلك الحادث المشؤوم الذي كنت فيه على شفا حفرة من الموت فنجانى الله .

كنت يومها متأخرا عن عملي و أقود بسرعة جنونية ، و لم أنتبه إلى الشاحنة التي بزغت
من مكان مجاور و لم يعد يفصلني عنها سوى مسافة قصيرة ، لسوء حظي تعطلت
المكابح و كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت .

نطقت الشهادتين و أغمضت عيني ثم لا أذكر أي شيء حدث بعد ذلك ، إلى أن
استيقظت بالمشفى ، و كنت سليما معافى إلا من كدمة بسيطة على جبيني .

(كيف حصل هذا ؟)

أخبرني أهلي بأني شخص محظوظ كون صاحب الشاحنة قد أوقفها في الوقت المناسب ، و بأني خرجت من الحادث بإصابة طفيفة في الرأس على اثر اصطدامه بعجلة القيادة .

(لقد نجوت بأعجوبة و كدت أفارق الحياة ، لكن هوس الموت لم يفارقني منذ ذلك الحين).

أعاني حاليا من نوبات الهلع و ضيق التنفس ، اشعر بأن الدماء تركض بجنون في أوردتي و ضربات قلبي تتخذ إيقاعا سريعا ...

لم أعد أحضر مراسيم العزاء أو الدفن ، و أنفر دوما متحججا بأمر ما .

لقد لاحظ الجميع تغير تصرفاتي منذ ذلك اليوم .

الجميع يتجاوزون المصائب و الحوادث التي يتعرضون لها حتّى و إن كانت خطيرة أو عرضتهم لإصابات بليغة . لكّتي لم أستطع رغم أنني لم أصب بمكروه في الحادث . أظن أنّ اصابتي كانت نفسية ، لأنني كنت على استعداد لأن أموت في تلك اللحظة .

وحدها زوجتي كانت تفهّم حالتي ، لذا اقترحت عليّ أن أزور طبيبا نفسيا لعلّي أتخلص من حالتي تلك . لقد كنت آملا في أن يزول خوفي هذا الذي لا مبرر له .

أطمئن نفسي بأن حياتنا تسير وفق قدر مكتوب ، و أن الله سيسترد أمانته في الوقت المحسوب . لكن هاجسي يكبر يوما بعد يوم .

أثناء جلستي مع الاختصاصي النفسي كنت مستلقيا على ذلك السرير الأبيض و أنا أنصبب عرقا .الأبيض ، هذا اللون الذي أصبح يرعبني بشكل ما لأنه لون

الكفن .المشكلة ليست في خوفي من الموت فقط ، بل أنا أترقبه في كل لحظة تهرّ من حياتي .سألني الطبيب أسئلة موجزة و أراني بعض الصور ثمّ قام بتشخيص دائي بمرض نفسي يسمى (نيكروفوبيا) ، و طلب منّي متابعة جلسات العلاج المستمر عنده إلى أن أتعافى تدريجيا .

بعد أيام ذهبت منال إلى بيت أهلها و تركت وسيم برفقتي في المنزل ، و ذلك بعد أن أوصتني بالاهتمام به ريثما تعود مساء .

كان يوما ممطرا و باردا ، و قد كنت متعبا لأنني لم أنم جيدا الليلة الماضية ، إذ سهرت مع هواجسي كعادتي . باشر في البكاء فحملته بين ذراعي و حاولت أن أجعله ينام ، لكّني لم أعي كيف نمت و ملت بجسدي عليه .

استيقظت مذعورا و أنا أتحسس الكومة التي خنقتها تحت صدري عندما غفوت و رميت بثقلي عليها ، لقد قتلت ابني ...

وسيم...هززته دون أمل في أن يكون حيّا ، و تحسست تنفسه و نبضه مثلما أفعل في كل مرّة لكن هذه المرة لم تكن كباقي المرات ..

تركته من يدي و أسندت ظهري على السرير .تذكرت كم كنت خائفا عليه يوم ميلاده و أنا أتلقاه بين ذراعيّ و شيء ما يوسوس لي بأن هذا الطفل سيموت صغيرا ، لكن لم أتوقع أن يحلّ هذا اليوم بعد ثلاثة أشهر من ميلاده .

(لقد نجوت أنا يومها ، لكن ابني لم ينجُ اليوم ، لكنه مات بسببي).

عادت منال مساء ذلك اليوم مبتهجة بعد زيارة أهلها ، أطلت على المهد فلم تجد ابنها،
ابتسمت "لا شك في أن عماد قد أخذه إلى غرفتنا ، أرجو أن لا يكون قد أتعبه في
غيابي".

فتحت منال الباب و أطلقت صرخة من هول الصدمة ، كان عماد مسجى على الأرض
وقد تفجّر من معصم يده اليسرى شلال من الدّم و بجانبه مشرط حاد ، أمّا ابنها فقد
كان جثة هامدة مكتسية باللون الأزرق فوق السرير .

شروء

كانت تجوب احدى الشوارع في أمسية باردة تساقط فيها الثلج بهدوء يبعث السكينة في النفس .

اليوم بالذات هي تجترّ ذكريات قديمة . لكنّها تشعر و كأنّها حدثت بالأمس .

لعلّ هذا الجو بالذات هو ما يذكرها به . لأن الأرض لم تكتسي باللون الناصع منذ أربع سنوات ، منذ أن كانت في ربيعها العشرين كزهرة تشرين .

قادتها قدمها دون وعي منها إلى ذلك المكان الذي لمحت فيه لأول مرة ، و شخصت ببصرها نحو القطار عائدة بالزمن إلى الوراء .

تذّكرت ذلك اليوم المثلج البارد الذي ركبت فيه بالقطار و جلست في مكانها و بيدها كوب قهوة دافئ .

جلس بجانبها شاب أسمر طويل يلبس نظارات ، و أخرج من معطفه الشتوي رواية للجيب و دسّ عينيه بين سطورها للحظات .

بعد دقائق من انطلاق الرحلة نظر اليها بعينين فارغتين قائلاً :

يا أنسة ، هل يمكنني استبدال هذه الرواية الباردة بقهوتك الدافئة ؟

أطلقت ضحكة قصيرة ، و كأنه صدمها بطلبه الغريب هذا .

!تمتت في نفسها قائلة : يا له من ساذج

أومأت له بالموافقة ثم مدّت له كوب القهوة و أخذت الرواية من بين يديه
كانت رواية (البؤساء) لفكتور هيغو .

ابتسم قائلاً :

"في الحقيقة كنت أمزح ، لكن بما أنّه حصل فلابأس .."

و أخذ رشفة من الكوب ، ثم أضاف قائلاً :

تبدين فتاة لطيفة ، لو كانت غيرك لربما ظننتني شخصا مستفزا و لصرخت في وجهي "

بعد سنة من ذلك اليوم صارحتني يا باسل بأن طلبك ذاك كان مجرد ذريعة افتعلتها
من أجل محادثتي ..

! آه منك يا سيّد الذرائع

لقد غمرتُ حبّنا في بحر قلبي لكنه غرق لاحقا ..

لن أنسى ذلك اليوم الذي جئتني فيه إلى المطعم متململا و أنت تفرك اصابعك في قلق
وتنظر إلى الساعة كل خمس دقائق .

خاطبتك متسائلة :

"باسل ، لم أنت هكذا ؟ تكلم فأنا أعرفك جيدا . لديك كلام ترغب في قوله ؟"

أومأت موافقا و قلت بصوت محرج :

ناديا ، يجب أن أرحل ..

أجبتك متسائلة : "إلى أين ؟ الوقت لا يزال مبكرا... "

زفرت قائلاً: "لا ، هذه المرة سأرحل فعلاً"

(هل أنت مسافر ؟)

(ربّما ، تستطيعين القول بأنه سفر).

فُلت بصوت مصبوغ بالحزن :

(متى ؟)

(لا أعلم ، ربّما غدا ..)

و منذ ذلك اليوم ، لم أسمع عنك خبراً . و استعصى عليّ أمر البحث عنك كوننا من مدينتين مختلفتين .

غادرت حساباتك في مواقع التواصل الاجتماعي و غيرت رقمك .

و أخذت الحيرة تنهشني (لم قد يفعل هذا ؟ هل يخفي عنيّ أمراً ما ؟

أخشى أن يكون قد أصابه مرض ...)

كان قلقي عليك جنونياً و شوقي جهنمياً و لم أكن أكفّ عن البكاء كلّما اختليت بنفسي .

عندما رأّت صديقتي أمينة حالتي تلك ، اقترحت عليّ أن ارافقها إلى مدينة الملاهي التي تقع في المدينة الكبرى .

أرادت أن تخرجني من دوامة الكآبة التي أغلقت على نفسي بداخلها منذ رحيلك . منذ أن انقطعت الخيوط التي تربطني بك أو توصلني اليك . ركبنا العجلة الدوّارة ، كنت أنظر من مقصورتها إلى الانوار المتلألئة و غصت في شروود تام .

لقد اقتربت ساعة المغيب ، توقيت رومنسي بالنسبة للعشاق الذين يتربون غروب الشمس .

يقال أنّ هذه المدينة فيها فرحٌ لا ينام ، و لكن أفراحي قد غفت منذ غيابه المفاجئ .
لم ينتشلي من غفوة التفكير به سوى رفيقتي التي هزّنتني لتنبهني الى أن الجولة قد انتهت قائلة:

لنجرّب لعبة أخرى ، ما رأيك ببيت الرعب ؟

أومأت لها بنعم ثم ركبنا تلك العربة التي دخلت إلى بيت الرعب .

كان أمامنا ثنائي يبدو أنهما عاشقان ، وضعت الفتاة رأسها على كتف ذلك الشاب .

أمعنت النظر إليه ، مظهره من الخلف ذكّرني بباسل .

مهلاً ... استدار بوجهه ناحيتها ولمحته ..

أطلقت صرخة خافتة ..

ضحكت أمينة و ضربت كتفي براحة يدها قائلة :

!لا تقولي لي بأنك خفت

أشرت لها بيدي الى الرعب الحقيقي الذي جعلني أصيح ، استدار ناحيتنا حين سمع تلك الجلبة ، ارتسمت معالم الدهشة على وجهه .

نظرت إليه بعينين غشيتهما الدموع و نزلت من العربة مسرعة و ركضت بعيداً عنهم ..

سمعت صوته و هو يعدو خلفي قائلاً :

ناديا ، انتظري لحظة ، سأوضح لك الأمر لقد فهمته خطأ

ناديا ...

انتبهت إلى صوت يناديها بعد أن استفاقت من شرودها ، و تفتنت إلى أنها في محطة

القطار .

لم تنتبه إلى أنها تقف في سكة القطار ..

تكرر الصوت مناديا : ناديا انتبهي

إنه باسل ...

صوبت نظرها إلى اليسار فلمحت القطار الذي كان قادما ، ولا يفصله عنها سوى أمتار ..

عقم

كلّما أبصرت عيناى امرأة تحضن وليدها أو تضمّه الى حضنها بحنان تساءلت :

ما الذي ينقص جسدي لكي يُثمر ؟

الاطباء الذين قصدتهم أنا و زوجي طوال العشر سنوات الماضية أخبرونا بأننا لا نعاني من أي مشكل يحول بيننا و بين الحصول على طفل .

لقد أجرينا عدّة فحوصات أثبتت سلامتنا ، كما جرّينا مختلف العلاجات الطبيعية منها و الطبية لكن دون جدوى .

أنا الآن على مشارف السابعة و الثلاثين من العمر ، و زوجي الذي تخطّى الخامسة و الأربعين قد غزت رأسه بعض الشعيرات البيضاء . شعرت و كأنّها أجراس انذار تطنّ في رأسي بدلا من انتشارها في فروة رأسه .

نحن نكبر ، و أملنا يصغر ...

زوجي (أحمد) الى متى سيصبر ؟ أشعر بأن العيب فيّ...

لطالما افترشت سجادتي باتجاه القبلة و أنا أتضرّع لله و أسقيها بدموعي و أدعو الله في تهجد طويل و أرجوه أن يُفاجئني بالحلم الجميل ، لينعم عليّ بابن يكون لهذه الأسرة سليل ، فأحمد هو الذكر الوحيد في عائلته .

على الرغم من أن حماي تحبّني كابنتها ، إلا أنّي أقرأ في نظراتها ضيقا كلّما سألتني :

هل من جديد ؟

فأومئ لها نفيًا ثم نصمت و نحن نجتّر حيرتنا ، كَلَّه بأمر الله .

الأسبوع الماضي حدث أمرٌ زرع كياني بقدر ما آذاني ، فبينما كنت برفقة (أحمد) في سوق المدينة الكبير لابتياح بعض الأغراض إذ بنا نصادف أحد أصدقائه القدامى من أيام الجامعة ، و لقد كان برفقة زوجته و أبنائه الثلاثة ، ولدين و بنت يبدو أكبرهم في التاسعة .

بالكاد تعرّف عليه فاللامح لم تتغيّر ، سحبنى (أحمد) من يدي و ذهبنا باتجاههم لنلقي عليهم التّحية .

ما حزّ في نفسي هو أنّ صديقه سأل أحمد عن أبنائه :

لَمْ لَمْ تصطحب الأطفال معك في هذا اليوم المشمس ، أين هم ؟

في هذه اللحظات كنت أنظر إلى وجه أحمد فرأيت فيه انكسارا و حزنا ، أجابه بنصف ابتسامة :

نحن لم نرزق بعد بأطفال ..

اتسعت عينا صديقه و رفع حاجبيه كتعبير منه عن دهشته و قال بنبرة أسف :

عفوا ، لم أكن أعلم هذا ، أرجو من الله يرزقكما ذرية سالحة ، أعرف طبيبا للأعشاب ..

قاطعته زوجي بحركة من يده :

لا شكرا ، نحن نتابع العلاج حاليا و ننتظر .

ودّعه ثم سرنا إلى منزلنا دون أن نتفوّه بأي حديث طوال الطريق .

الله وحده يعلم مقدار الألم الذي كان يعتصر قلبينا.

بكيت يومها كثيرا حين عدت إلى البيت ، وجدني زوجي على تلك الحال فأسرع اليّ و

جلس بجانبني و مسح دموعي و قال بحزن :

رجاء لا تبك ، لا أتحمّل رؤية دموعك...

قلت له دون مقدمات بنبرة رجاء :

أحمد ، يجب أن تتزوج ...

رد بنبرة غاضبة و أمسك بوجهي بين يديه :

حنان ، لا تكرري هذا الطلب على مسامعي مرة أخرى

و هبّ واقفا ليخرج من الغرفة لكنها استوقفتها ممسكة بمعصمه :

اسمعني رجاء ، أنا راضية بالأمر و سأختار لك العروس .

أنزلت رأسها ثم أضافت :

أريد منك أن تتزوج بصديقتي سميرة ..

و علاصوته حادا:

ما الذي تقولينه ؟ هل جننت ؟ أنا لم أفقد الأمل بعد ، هل تفهمين هذا ؟

قاطعته :

إلى متى ؟ إلى متى يا أحمد ؟ نحن نكبر و فرصي في الحمل تقلّ ، يجب أن تتزوجها من

أجلي ، أتوسّل اليك.

جثوت على ركبتني أمامه و الدموع تغرق عيناى ، فأمسك بكتفى و ساعدنى على التّهوض
و مسح على شعري قائلاً بنبرة ألم :

سأفعلها من أجلك ..

و ارتميت في حضنه و أنا أبكى بكاء مريراً ..

تكفلت بنفسى بمهمة اقناع (سميرة) بالزواج من أحمد فتمت موافقتها بعد الحاح طويل
مئى ، و أخبرتها أنّ هذا لن يؤثر سلبا على علاقتنا كصديقتين .

كانت سميرة امرأة في الواحد والثلاثين من العمر و لم يقدر لها بعد أن ترتبط .

ما يهمنى الآن هو أنها ستحمل ابن (أحمد) ، و ستكون بمثابة أخت لي فهي من أقرب
صديقاتي ..

و حلّ اليوم الموعود ، يوم عقد قران زوجي (أحمد) و صديقتي (سميرة).

تجمّلت يومها كإشبينة للعروس و اتفقنا على اقامة حفل صغير بالبيت بعد توثيق العقد
بدار البلدية ثم احضار الامام مباشرة إلى المنزل لقراءة "الفاحة" .

كان ذلك اقتراحي من أجل سميرة .

اتجهت إلى بيت سميرة لأصحابها إلى البلدية ، حيث سيكون أحمد بانتظارنا .

أثناء الطريق كنت منشغلة البال أفكر فيما ستؤول إليه الأحوال بعد قدوم سميرة
للعيش كطرف ثالث بيننا .

الآن فقط بدأ القلق يدبّ في نفسى ، عقدت يدي عند صدري :

لا ، أحمد يحبني و لا شيء سيغير من علاقتي به ، حتى و ان أنجبت سميرة .

في خضم هذا التفكير لم أعي نفسي إلا و أنا أرتطم بسيارة مسرعة رمتني أرضاً .
نظرت إلى السماء ، اختلطت الاصوات و الوجوه من حولي و لم أتذكر ما حدث بعد ذلك .

أفقت بين جدران بيضاء على سرير مغطى بنفس اللون ، فزعت و حركت ذراعي فوجدت شوكة السائل المغذي مغروزة فيه ، شعرت بوخز في رأسي الذي كان ملفوفاً بضمادة .

دخلت الطيبة بهدوء ، و أخذت كرسيها و جلست بجانبني قائلة بأسى :

الحمد لله على سلامتك يا مدام ، الشكر لله أن اصطدامك لم يكن عنيفاً لقد كاد أن يودي بحياتك و لكنك فقدت الطفل للأسف . العوض على الله ..

عندما سمعت جملتها الأخيرة سرت في جسمي رعدة خفيفة و تلعثم لساني :

طفل ؟ أي طفل ؟ ما الذي تقصدينه ؟

- نعم ؛ لقد كنتِ حاملاً في الشهر الثاني .

عودي يا أمي

فتح خالد صنبور المياه و أغرق وجهه في حفنة منه ،نظر الى المرأة نظرة خاوية ثم أتجه الى المطبخ و ازدرد فنجان قهوة مرّ و مضى إلى أحضان الشارع هائما ليعود بعد منتصف الليل ليديسّ خبيته بوسادته.

هو على هذه الحال منذ اختفاء والدته الأسبوع الفارط ،و التي يقيم برفقتها في شقة مستأجرة منذ عشر سنوات بعد وفاة والده و طردهم من السّكن الوظيفي الذي كان يأويهم .

تعوّدت أمّه على العمل في شتّى الأماكن كالبيوت و المستشفيات ،إلى أن استقرت في عملها كطباخة بإحدى المدارس الابتدائية .

كانت زميلتها في المهنة تضمر لها حقدا و كرها شديدا ،كون أم خالد كانت تنهرها في كلّ مرة تلمحها و هي تعبئ كميات كبيرة من المواد الغذائية لتأخذها إلى منزلها ،فدبّرت تلك العاملة لأم خالد مكيدة لطردها من المدرسة و ذلك باستبدال علب الزبادي الصالحة للأكل بأخرى فاسدة ، فكان لها ما أرادت.

لحسن حظ (أم خالد) أنها وجدت عملا آخر كعاملة تنظيف بإحدى العمارات.

لكنّ ابنها خالد رفض فكرة عملها هناك رفضا قاطعا ،لأنّ صديقه يقيم بنفس المبنى .

بينما كان خالد يجوب الأزقة باحثا عن أمه ، يسأل الكبير و الصغير ومعظم المارّين من هناك اذ به يتوقّف للحظات في مفترق الطرق و يقول : عودي يا أمي...

قفز الى ذهنه آخر حوار جمعه بأمه و كان على النحو التالي :

بعد أن عرضت عليه الأمر صرخ في وجهها بحدّة :

لا يا أمي ، لن عملي هناك مطلقا .

ورفع يده و هزّها أمام وجه أمّه متابعا :

لن أتحمّل المزيد من السخرية بسببك ..

و تردد صدى الجملة الأخيرة في نفس أمه مدويا ، و قالت بصوت حزين مرتجف :

حسنا يا بني ، لن أعمل هناك ..

زفر بضيق و خرج من المنزل غاضبا دون أن يضيف كلمة ، عاد مساء ولكتّه لم يجدها في انتظاره كالعادة ، و هي قيد البحث منذ ذلك الحين بعد أن بلغ عن اختفائها المفاجئ دون سابق انذار.

و بينما كان يسبح في حيرته اتصلت به الشرطة :

خالد فاروق ، أنت أودعت قضية عن اختفاء والدتك منذ عشرة أيام ؟

نعم ، هل من مستجد ؟ أخبرني ؟

نرجو منك أن تتّجه فورا لمصلحة حفظ الجثث ..

لم يكمل الضابط جملته حتّى أقفل خالد الخط ، و جثى على ركبتيه باكيا و لطم خديه قائلا :

لا ليست هي ، قد تكون مجرد امرأة تشبهها ، عودي يا أمي ..

بخطوات متناقلة تقدّم خالد من احدى الجثث المغطاة بعناية ، كان برفقة الحارس .

لا يزال الأمل نابضا في قلبه بأن لا تكون جثة أمه هي التي ترقد أمامه بلا حياة .

كانت القدمان هي الجزء الوحيد الظاهر من الجثة . تفحصها بعينيه جيدا ، قدمين بأستين متشقتين لامرأة أفنت عقدها الخامس في الكد و الشقاء .

أغمض عينيه و كشف عن وجهها بيديه المرتجفتين ثم فتحهما على مهل ، ليجد وجه أمه الذي أفقده غياب الروح لونه .

أسند ظهره على الجدار و أطلق صرخة تهتز لها الأفئدة . سارع الحارس الذي شهد عددا لا يحصى من تلك المواقف لمواساته .

قال خالد بصوت باك :

كيف ماتت ؟ و أين وجدتموها ؟

ردّ عليه الحارس بنبرة أسي :

دهستها حافلة أثناء عبور الطريق ، و لقد أكد صاحب الحافلة أنّه لا ذنب له في موتها ، صادفها أمامه فجأة و حاول أن ينحرف عن مسار الطريق كما أنه نبهها لكنّها كانت

شاردة و لم تسمعه . دسّ الحارس في يد خالد محفظة نقود كانت بحوزة والدته قائلا :

هذا كل ما عثرنا عليه من أغراض المرحومة .

استنشق خالد ما علق بها من رائحة أمه و فتحها ، فلم يجد فيها سوى صورة وحيدة

كانت تجمعه بأمه ، ذلك كل ما كانت تحمله ، أخذها خالد بيده و بقي ينظر إليها

و هو يسقيها بدموعه .

بعد رحيلي

أبي ، هل تسمعي؟ أنظر أنا ها هنا طيف أستكين خلفك ، لا تجزع ، أنا مرام ابنتك
 فمها خوفك؟ ها أنا أبكي لأني أرى دموعك الآن و التي لم أتوقع أن يقع عليها ناظري
 يوما ، قاسيا كنت دوما... أحقا تتلألأ الدموع في محجريك من أجلي ؟ هل تبكي فقداني!
 أحقا صدمك أمر رحيلي وحلول أجلي؟

و بينما أنا أدور بين أرجل التساؤلات التي تركلني من كل صوب اذ بي رُميت الى مشهد
 آخر.

جمع غفير من الناس يحملون رفااتي ، لقد حضروا اليوم من أجل أن يشهدوا حدث
 وفاتي؛ ها هم يخرجون جثتي من ذلك التابوت الخشبي الضيق البارد ليودعوني في
 فجوة أكثر ضيقا و قسوة و برودة.

- انه قبري!

قلت ذلك بهمس حزين ، ها قد وضعوني في تلك الحفرة العميقة! لكم تمنيت أن أرى
 شكلي و أنا خالية من الروح ، جثة هادئة لا حركة لها .

أول ما توقف عن الحركة نبض قلبي الذي كانت أولى دقاته في أحشاء أمي الذي طربت
 لسماعه يومها و ها هي تنتحب اليوم لأنه سكن . ها قد أهالوا عليّ التراب أولئك الأحباب
 ، يتقدمهم أخي "سليم" حاملا الرفش بتناقل ليرمي على جثتي أكواما من التراب ، لقد

كان أنفه محمرا بفعل البكاء و البرد معا ، سليم الذي كان يصرخ في وجهي حين أعود
للمنزل متأخرة:

- سأدفنك حيّة!

ها قد تحقق جزء من وعيدك يا سليم أمام عيناى ، (أبتسم) على الأقل أتيج لك دفني ،
فلم تغزو الدموع عينيك أيضا ؟

سليم كان شابا عاطلا عن العمل ، ترك مقاعد الدراسة في سنّ مبكرة ، أمّا أنا فكنت
أعمل بدوام جزئي، عند إحدى العائلات الغنيّة التي تكرّمت بتشغيلي ، لقد كنت أعمل
على رعاية عجوز طاعنة في السنّ. والأجر الذي أتقاضاه أدرس نصفه في يد أمي خفية و
أطلب منها أن تمنحه لسليم دون أن تخبره أنه مّتي.

لقد كنت أضطر في الكثير من الأحيان الى الهبيت عند تلك العجوز خصوصا في أيام
اشتداد مرضها مما سبّب لي مشاكل كثيرة مع العائلة و بالأخص مع والدي !

كنت أدخل الى البيت صباحا متسللة على أطراف أصابعي كلصّ كي لا أوقظ أحدا لكنّ
أبي يتفطن لي و كأنه كان ينتظرني ، تباغتني يده ليسحبني من الخلف ممسكا بشعري .

ذات مرة لم أعي الا و أنا مسجاه على الأرض بعد أن تلقيت لطمة على وجهي من ابي ،
لم أكن أتوقع أنه سيضربني حينها بينما يملي على مسامعي محاضراته المعتادة التي
أحضرها حتى آخرها عادة .

تدفق سيل دماء جارف من أنفي فوقعت ، أخذت أمسحه بكف يدي و قيمت مجددا و
أسرعت الى المغسل دون أن أنطق بكلمة واحدة ، في الخارج سمعت أمي تقول لوالدي
معاتبه بنبرة باكية:

- حرام عليك ، كانت عند " أم محمد " و أنت تعلم ذلك ، لقد اضطرت لقضاء الليلة هناك .

يضحك أبي بهستيريا مجنونة و يهز رأسه متأسفاً:

- نعم تعمل ، أنا أعلم و عملها شريف ، شريف جداً!

و يعلو صوته و يهز بيديه في وجه أمي :

- ابنتك تبيع شرفها يا امرأة ، من الذي حرام عليه أنا أم هي ؟

الناس يتكلمون عنّا و يقولون ابنة منصور تقضي لياليها خارجا ، لقد سوّدت وجهي سوّد الله آخرتها .

و رفعت وجهي للمرآه بعد أن غسلت دمائي و ليتني استطعت غسل ذاكرتي أيضا بعد أن تلطخت جرّاء ما سمعته ، بكيت بحرقة بعد أن اخترقت تلك الكلمات مسامعي كالشهب؛ شعرتُ أن الدماء تعود الى حلقي و تصعد الى دماغي فائرة و تغلي.

في احدى أمسيات ديسمبر كنت أجلس مع العجوز "أم محمد" في بيتها الكائن في وسط المدينة . اتصلت أمي بي ، كانت الساعة حينها تشير الى السادسة مساء و أبلغتني بصوت مرتجف أن والدي يعاني من حمى شديدة و سليم غائب و هاتفه مغلق ، أنهيت الاتصال على عجل و استأذنت العجوز لأمر طارئ .

دلفت للخارج بسرعة ، كانت الأرض متشعبة بالمطر الذي لا يزال يهطل غزيرا و قد بدا لي أنّ الظلام سيرخي سدوله عمّا قريب ، اتجهت لأقرب صيدلية و أنا أسير تحت تيارات المطر غير مبالية بتدهور الطقس ، اقتنيت مسكنا للحمى و ذهبت للمحطة على عجل فعلقت هناك .

الوقت متأخر و وسائل النقل قد توقفت عن العمل ، و لم أجد سيارة تاكسي ، لقد ابتلت ثيابي و شعري و بدأت أعطس.

بدأ الفزع يدبّ في نفسي و اذ بي أسمع صوت نباح يقترب ، نظرت خلفي ، إنه مجرد كلب أسود مزمجر! خاطبت نفسي: لقد كبرت على الخوف من الحيوانات ، لكنه مسعور...

يقترب أكثر فأكثر ، هممت بالفرار و ما هي إلا ثوان حتى وجدت نفسي أقطع الطريق ركضا و قلبي يخفق خوفا ، أكاد أقع أرضا ، تمزّق حذائي المهترئ في منتصف الطريق، ووقعت على وجهي لأهوي بثقل جسدي على الارض ، شاحنة قادمة من بعيد. ها قد اقتربت يلوح لي ضوءها الذي أعمى بصري ، قلت : هذه قد تنقلني ثم جحظت عينايا: لا بل ستقتلني!

ما زال أبي يبكي ، أراه يحرك شفاهه و لعله يتمتم بكلام ما ، انتابني فضول كبير لسماعه.

اقتربت منه بضع خطوات ، لحسن الحظ أنه لا يراني حاليا. ما زلت أخاف من والدي حتى بعد رحيلي عن هذا العالم وادراكي أنه لن يمسنني بسوء بعد الآن ، بل من المفروض أن يخاف هو من شبحي إن أحس بحفيفه ، لكنه لا يراني اليوم كما لم يكن يلمحني البارحة عندما كنت على قيد الحياة .

كان يقول في أسي: " سامحيني يا ابنتي ، لقد ظلمتك بظنوني و أنت أشرف من الشرف ذاته ."

و غطى عينيه بكفيه و نشج في صورة مريرة ، مما حزّ في نفسي و قررت أن أجيبه رغم أن صوتي لن يبلغ مسامعه:

" لقد سامحتك يا أبتى ، و اعذرني لأنني لم أتمكن من إيصال جرعة الدواء اليك ، فوصلك
رفاتي بدلا منها! أعلم أنك لا تسمعي حاليا لكن أرجو أن تتذكرني بالخير دوما و تدعو لي
بالرحمة ، ابنتك تحبك."

في هذه اللحظة بالذات و ما ان استدرت راحلة ، و اذ بوالدي قد رفع كفاه المبللتين
بالدموع لينطق بالدعاء لي و الذي تردد صداه في أذني .أغمضت عيناوي و ابتسمت...
أخاله قد سمع ندائي!

نبذة عن المؤلفة

الاسم: رحمة خطار

الدولة: الجزائر

التخصص:

(مدقق لغوي) دبلوم سنة ثالثة ليسانس أدب عربي في الجامعة تخصص "لسانيات عامة".

أعمال سابقة:

- قصة قصيرة بعنوان "البأس" نشرت ورقياً في كتاب جامع بعنوان "لا تغلقو الباب" الصادر عن دار "الجزائر تقرأ".

- خاطرة بعنوان "هذيان الذاكرة" نشرت و ورقياً في الكتاب الجامع "صدى" للخواطر الذي صدر عن دار المثقف للنشر.

- قصة قصيرة "نوبة هستيريا" نشرت الكترونياً في كتاب "قصص و حكايات" الصادر عن دار قصص و حكايات للنشر الالكتروني.

- فائزة بالمركز الأول بقصة " غربة روح" في مسابقة القصة القصيرة لمسابقة مبارك جلواح الأدبية الجزائرية .

- قصة قصيرة بعنوان "أنقذت قاتلا" ستنشر ورقيا في كتاب "تعويذة ميلو" الصادر عن دار المثقف.

- قصة قصيرة بعنوان "عمران" ستنشر ورقيا في كتاب "الحدائق" الصادر عن دار مولانا للنشر و التوزيع.

- قصة "توأمان" ستنشر ورقيا بمجلة "أونيكس".

- رواية بعنوان " ثاني أكسيد الرحيل" (لم تنشر بعد).

- مجموعة قصصية بعنوان "خيبة أرواح" الصادرة عن دار المغارة للنشر الالكتروني.

